مجلة الآداب والحضارة الإسلامية جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة -الجزائر
ISSN : 1112-4628, EISSN : 2588-2449
مجلد: 13 عدد 26 السنة: 2021

التاريخ في معاكسة الذاكرة :
النقوش والحوليات والرواية الشفوية ومواقع النسيان في الساحل المالي[1]

باولو فرناندو دي موراييس فارياس
ترجمةمقال من اللغة الفرنسية

الدكتورحسين بوبيدي
جامعة قسنطينة 2
hocine1492@hotmail.fr

تاريخ الوصول : .13-06-2021..القبول:17- 06 -2021. النشر على الخط:.....
.....Received :.....l Accepted :..... ...l Published online :.....

الملخص:

تشتمل جهات مالي من منطقة الساحل على مواقع أثرية حافلة بنقوش ذات أهمية كبرى ترجع إلى العصر الوسيط؛ وأكثرها شهرة نقوش السوق (تادمكة) في أذرار-ن-إفوغاس، ونقوش ساني وگاو (گاوْ گاو أو گاوُو) وبنتيا (كوكيا) في حوض نهر النيجر. وترد هنا بعض شواهد النقوش من منطقة ساني منشورة لأول مرة، أما الشواهد النصية التي قد تحيل على ساني، أو تلك التي عثر عليها في قوائم بأسماء ملوك الصونغاي فهي أيضا تحلل هنا لأول مرة. وهذه المحاضرة تناقش الصدام بين مقاصد المؤرخين العصريين وبين التمثلات الذهنية التي تقدمها الذاكرة الاجتماعية. وعليه يجوز الاحتجاج للتمثلات التاريخية المبنية على الشواهد مهما بدت جانحة ومهما كان نسيج الماضي مستعصيا على الترميم.

الكلمات المفتاحية: الذاكرة، النقوش، الرواية الشفوية، تادمكة، غاو ساني، السنغاي، كوكيا.

([1])- العنوان الأصلي هو:

Paolo Fernando de Moréas Farias, Histoire Contre Mémoire Epigraphie, Chroniques, Tradition Orale et Lieux d'Oubli dans le Sahel Malien, Rabat, publications de l'institut des Etudes Africaines, 1993.

ISSN : 1112-4628, EISSN : 2588-2449
مجلد: 13 عدد 26 السنة: 2021

Abstract:

The Malian part of the Sahel contains important medieval epigraphic sites, of which the best known are at *Essuk* (Tadmăkkăt) in the Aday-n-Ifoyas, and at Saney, *Gao* (*Găwgăw* or Gaawo), and *Bentiya* (*Kukiya*), in the Niger valley. Some of the epigraphic evidence from *Saney* is published here for the first time. Textual evidence which may refer to Saney, and which is found in the Soŋoy (Songhay) kinglists, is also analysed here for the first time. This lecture discusses the clash between the modern historian's aims and the constructions brought forth by social memory. It argues for the pursuit of «warp-like» historical reconstructions wherever the «weft» of the past is irretrievable.

Key words : memory, epigraphic, Oral narration, Tadmăkkăt, Gao Saney, Songhay, Kukiya

يعالج هذا العرض مسائل لا تخص المجالات الأفريقية حصريا؛ بل إنها على العكس من ذلك تقع في صميم أحدث الجهود الفكرية التي كرّسها عدد من المؤرخين الذين يشتغلون على موضوع أورُبا، وعلى فرنسا على وجه الخصوص؛ وأنا أشير هنا إلى أعمال بيار نورا/Pierre Nora ومساعديه حول ما يسمونه "مواقع الذاكرة"، ويتعلق الأمر بالمواقع التي اختيرت كمخزون للذاكرة؛ سواء بإرادة الأشخاص الذين حفظوها أو بفعل القرون، فبقيت على شكل رموز ساطعة ممثلة في الأعياد والاحتفالات، الشعارات، معالم تذكارية، وكذلك أيضا في المدائح والقواميس والمتاحف[1].

تحتاج الذاكرة على الأقل إلى مكان لتسجيلها بقدر حاجتها إلى الوقت المناسب[2]، ذلك أن المكان هو ما يتبقى بعد مرور الزمن، وهو ما يجعل أمكنة الذاكرة عموما مكرسة لجانب واقعي وآخر مجرد في ذات الوقت، إنها تمثل مظاهر طبيعية من جهة، كما تعبر أيضا وبشكل دقيق عن الموروث، وينبغي التنبيه هنا إلى حقيقة أن **بيار نورا** وفريقه ينزعون إلى التحرر من المدلول الطبيعي والمادي للفظ "المكان"، والقيام بعملية إحصاء أماكن الذاكرة المتموقعة بشكل كامل تقريبا في الإطار التصوري، مثلما هو الحال مع ثنائية "اليسار واليمين"، هذا المكان الكلاسيكي **" locus classicus"** الذي أدرج فيه الفرنسيون صراعاتهم السياسية والثقافية منذ الثورة فقد أصبح المرء فرنسياً من خلال الانخراط في أحد طرفي هذا الانقسام .

في عرضنا هذا، سنلقي نظرة على مواقع أفريقية وهنا سنجد أيضًا اقطابا واقساما هي أيضًا، بطريقة متناقضة - على ما يبدو - تشكل تقاربات هوياتية .

إن التفكير في أماكن الذاكرة يدفعنا أيضا إلى التفكير في أماكن مضادّة لهذه الذاكرة، وهي الأماكن التي تمثل الذاكرة المكبوتة أو المنحرفة على غرار فوندي/La Vendée [(*)] في فرنسا وجدار

---

(1)- P. Nora (éd), les lieux de mémoire,3 tomes, 7 volumes**, Paris*:* Gallimard**, 1984-1993. (voir tome I, La République, XIV).

(2)- P.F. de Moraes Farias, " **Text as Landscape**", contribution au Joint African History Seminar de la Schoole of Oriental and African Studies and de l'Institute of Commonwealth Studies, University Of London, le 18 Novembre 1992.

(*)- لافوندي المقاطعة الخامسة والثمانون في فرنسا حيث قام الفلاحون عام 1793 بثورة مضادة عرفت بحرب فوندي.

المتّحدين/Mur des Fédérés في باريس، والمرتبطة بالتعاون مع النازية ومعاداة السامية في مدينة درانسي Drancy.

يمكننا أن نذهب إلى مدى أبعد من ذلك، لنأتي إلى طرح سؤال حول ما يمكننا أن نطلق عليه اسم "مواقع النسيان"، أي المساحات المتناثرة إلى شظايا مادية من ذكريات عفا عليها الزمن. في بعض الحالات، لعدة قرون، لم يعر الناس اهتمامًا لهذه الشظايا، وتبقى في شرائط الذاكرة التي تحتفظ بها الثقافة المحلية. في حالات أخرى، حيث تم إعادة تكوين هذه الأجزاء وأعيد تركيبها في ذاكرة الماضي، وأعيد استعمالها بواسطة هذه الذاكرة غالبًا وفقًا لطرائق تتعارض مع البيانات التي لا تزال منقوشة بشكل واضح على الأجزاء نفسها. وفي إعادة الاستعمال هذه نصل إلى نقش في نفس الأماكن لذكريات متتالية سوف يتعارض أو ينكر بعض منها البعض الآخر إذا تمت مقاربتهما ذهنيا في وقت واحد. وهنا لكي يبقى مكان للذاكرة، يجب أن يكون المكان أيضًا - بالضرورة - مكانًا للنسيان، الذاكرة والنسيان موجودان معًا، حتى لا ننسى أن النسيان أيضًا هو اختيار ونتيجة لعمل ثقافي.

سنرى ذلك في الساحل المالي، كما نجدها في أي مكان آخر؛ هذه الأماكن ذات الشقين التي تنتمي إلى الذاكرة والنسيان، والتي تعد أيضًا أماكن الصراع الحاد بين عمل التاريخ وعمل الذاكرة، إذا كنا نعني بكلمة "التاريخ" عملا مكرسا بشكل مثالي لإعادة بناء التسلسل الزمني على أكمل وجه ممكن، دون إجراء طباعة فوقية للأحدث على الأقدم.

في واقع الحال، يأخذ الصراع بين الذاكرة والتاريخ أيضًا شكلا آخر متولدا من صعوبة وضع أنواع مختلفة جدًا من المصادر التاريخية على نفس طول الموجة، التي تنقل معلومات لا يمكن اختزالها دائمًا إلى قاسم مشترك. إنها ليست مجرد مسألة عدم وجود صلة بين الخطاب الشفهي والمكتوب، ولكن قبل كل شيء تكمن في التباين في الغرض والوظيفة بين أنواع مختلفة من خطاب يدخل في مجال الكتابة بقدر ما هو داخل في المجال الشفوي .

ومع ذلك، يبدو للوهلة الأولى أن منطقة الساحل ومنطقة السافانا في غرب إفريقيا هي حقل رئيسي لإعادة بناء الماضي التاريخي، بناءً على تعدد المصادر. وفي عنوان كتاب ريمون موني/Raymand Mauny الضخم : الجدول الجغرافي لغرب إفريقيا في العصور الوسطى من خلال المصادر المكتوبة، الرواية الشفوية وعلم الآثار (داكار: IFAN 1961)، تعبير عن أمل قاسمه اياه بعد ذلك معظم مؤرخي أفريقيا جنوب الصحراء وهو الأمل في الوصول إلى استعادة الماضي المتماسك عن طريق نوع من

الإضافة الحسابية أحيانا والجبرية أحيانًا أخرى للبيانات الأثرية والتاريخية (المكتوبة والشفوية) لملء الفجوات في كل فئة من فئات مصدر ما بمواد مستعارة من فئات أخرى. لم يكن هذا الأمل مخالفا للصواب :

أولا : وعلى عكس ما يُقال كثيرًا، تتمتع منطقة الساحل بتقليد يعود الى أمد طويل إلى حد ما في الكتابة. في أدرار- إيفوغاس والسوق بمالي، حيث نعثر على نقوش عربية مطبوعة على الحجارة تعود الى سنة 404 هـ/1013-1014م وربما قبل ذلك، في منطقة قاو ساني Gao-Saney في انعطاف نهر النيجر، حيث وَجدتُ نقوشًا عربية تعود إلى عام 481 هـ 1088م[1] . وكل شيء يشير إلى أن علامات التيفيناغ التي لا تزال تستعمل إلى اليوم لكتابة اللغات البربرية في مناطق معينة من الصحراء والساحل كانت متاحة في الصحراء الجنوبية قبل وصول الكتابة العربية. وفي وقت لاحق، في القرن السابع عشر، ترك لنا كتّاب تمبكتو سجلات ضخمة مكتوبة باللغة العربية تتناول تاريخ منطقة منعطف نهر النيجر/La Boucle de Niger[2]، ولدينا أيضًا وثائق أخرى مكتوبة باللغة العربية عن آذرار-ن-ايفوياس ومنطقة منعطف نهر النيجر أَلِّفت من قبل مثقفي كال السوق/Kal-Essuk ومؤلفين آخرين تعود إلى القرنين الـ 19 والـ 20[3]، وهذا دون الحديث عن مصادر خارجية مكتوبة أخرى سواء

(1)- P.F. de Moraes Farias, "The Oldest extant writing of West Africa : Medieval epigraphs from Issuk, Saney and Egef-n-Tawaqqast (Mali)," Journal des africanistes, 60: 2. (1990) p: 65-113.

(2)- Tarikh al-fattash [ca:1664], éd et tr :o. Houdas et M. Delafosse (réimpression de l'édition 1913-1914), Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient Adrien Maisonneuve, 1964. et al-Sa'di [ca:1655],Tarikh es-Soudan, éd et tr :o. Houdas *et E. Benoist* (réimpression de l'édition 1898-1900), Paris, Librairie d'Amérique et d'Orient Adrien Maisonneuve, 1964.

(3)- Mauro Nobili, Catalogue des manuscrits arabes du fonds de Gironcourt *(*Afrique de l'Ouest*)* de l'Institut *de* France*,* Roma *:* Istituto per l'Oriente C.A. Nallino, 2013. et: La collection de manuscrits *à* l'Assemblée Nationale, Niamey, République du Niger**.**

كال اسوك: هم الشخصيات المختصة في العلوم الإسلامية عند التوارق (وهذا الاسم مشتق من صيغة: طوارق باللغة العربية في اللهجة الصحراوية، بينما يسمي الأشخاص المقصودون هنا أنفسهم: كال تماشق في لغة تماشق أوبصيغة من الصيغ المتغيرة لهذا اللفظ بمختلف اللهجات، وانظر أيضا:

SJ. Rasmussen, «Ritual Specialists, Ambiguity and Power in Tuareg Society», Man n.s. 27:1 (1992), p: 105-28.

كانت وسيطية أو حديثة (في بعض المصادر المغربية) التي تتضمن أيضا معطيات قيمة حول تاريخ المنطقة.

ثانيا : نعلم جيدا بأن عدة مجتمعات في منطقة الساحل (وخصوصا السوننكي les Soninké، المندينكا أو المالنكي/ **Mandenka ou Malinké** والبمانا أو البمبارا/ **les Bamana ou Bambara**» تمتلك مؤسسات متقدمة جدا تمكنت من حفظ التاريخ الشفوي ونقله للأجيال اللاحقة، هذه المجتمعات يمكننا الجزم أنها أكثر جاهزية لأجل هذه التجربة من مجتمعات مستقرة في مناطق أخرى من العالم، ففي حالة منطقة انعطاف نهر النيجر نحن نعلم بأن هناك مختصون من السوننك في حفظ الروايات الشفوية [*] مرتبطون بالبلاط الملكي للسنغاي، على الأقل منذ عهد الأسقيا محمد الأول الذي حكم بين من سنة 1493إلى سنة 1528، والذي يعدّ هو الآخر من أصل سوننكي من جهة الأب[1] !

ثالثا : يتعلق الامر بوجود عدة مواقع أثرية مهمة تم رصدها بالمنطقة منذ مدة طويلة، ومن بينها مواقع قديمة جدا للنقوش في: السوق، ساني، غاو وبنتيا، ومع أن هذه المواقع الأثرية لم يتم استقصاء ما تتوفر عليه بشكل كامل، إلا أن ما عثر عليه يقدم لنا معطيات جد هامة من الكتابات العربية التي تؤرخ للفترة الوسيطة، وتعود الى بداية التاريخ الحديث[2].

لكن لسوء حظ المؤرخ، اتضح أن عناصر المعلومات حول الماضي التي تم جمعها من النقوش والاكتشافات الأثرية والسجلات والتقاليد الشفوية، لا يمكن دائمًا تجميعها معًا كما لو كنا نجمع قطعًا من نفس اللغز أو أحجية صينية. بالإضافة إلى ذلك، شهد تاريخ اذرار-ن-ايفوغاس ومنطقة انعطاف نهر النيجر الحافل بالأحداث عمليات نزوح للسكان، ولّدت ذكريات تركز تباعا على الاحتياجات التي تغيرت بمرور الوقت، وهذا ليس فقط في الروايات الشفوية المتاحة اليوم؛ ولكن أيضًا في الوثائق المكتوبة، والمقصود هنا حوليات تمبكتو التي تعمل على إعادة بناء ذاكرة لا يمكن غالبا التوفيق بينها وبين معطيات النقوش الوسيطية.

---

[*] (المغنون وحفاظ الأنساب والأدباء التقليديون)

(1) Tarikh al-fattash, 1964, p: 11,94, 155, 14, 177, 276.

(2)- P.F. de Moraes Farias, "The Oldest extant writing", 1990.

إن هذه النتيجة لا تعني أن المؤرخ قد حكم عليه بالجهل، ولكنها تحيل ببساطة إلى القول بضرورة البحث عن معايير تسمح لنا بفهم هذه الاختلافات بشكل أفضل، وعند الاقتضاء إبراز الروابط المباشرة وغير المباشرة بين مختلف أنواع المصادر المتاحة في الموضوع، وقبل كل ذلك سيكون من الضروي لنا أن نأخذ في الحسبان أنه لعدة قرون قد تم تصوير المشهد في منطقة أدغاغ إيفوغاس وثنية النيجر باعتباره مجالا للتصادم بين الإسلام والوثنية، (لكنه أيضا قدم صورة للتعايش في أغلب الأوقات).

هذا لا يعني أننا محكومون بالجهل. بل يجق القول ببساطة إنه يتعين علينا البحث عن معايير تسمح لنا بفهم أفضل لطبيعة وطرائق الاختلافات، وإذا لزم الأمر؛ الروابط المباشرة أو غير المباشرة بين الفئات المختلفة للمصادر المتاحة. سيكون من المفيد لنا قبل كل شيء قبل كل شيء أن ندرك أنه، لعدة قرون، تم تمييز منطقتي آذرار–ن-ايفوغاس ومنعطف نهر النيجر على أنها ميدان تعارض (ولكن أيضًا للتعايش السلمي في معظم الأوقات) بين الإسلام و "الوثنية".

1- منطقتا آذرار-ن-ايفوغاس ومنعطف نهر النيجر كمكان للذاكرة يتمحور على قطبية "إسلام-وثنية":

هناك روايات جُمعت في القرن التاسع عشر وبشكل أكثر دقة في يونيو 1854 من قبل هاينريش بارث، في مالي، عند بورم/Bourem في أعالى جاو على منعطف نهر النيجر، تتحدث عن زيارة فرعون لهذه المدينة : وهي رواية رائعة تتحدث عن مجيء فرعون ذات مرة إلى هذا المكان من مصر ثم قفل راجعا[1]. هذه التقاليد "الفرعونية" يبدو أن لها وجودا في المنطقة منذ أمد بعيد، منذ ما قبل القرن التاسع عشر. هذه هي الطريقة التي نجدها فيما يتعلق بالمواقع الأثرية في بنتيا (في مالي أيضًا ولكن على نهر النيجر أعلى قاو، بالقرب من حدود جمهورية النيجر).

هذه المواقع تحتوي على بقايا عاصمة سونغاي القديمة : كوكيا/**Kukiya** التي وصفها أحد الكتاب المسلمين من تمبكتو في القرن السابع عشر بأنها مركز "الوثنية" ولعبت دورًا في الصراع بين موسى

(1) -Heinrich Barth, Travels and discoveries in North and Central Africa in the years 1849-1855, 3vols, Londres: Cass, 1964, T:3, p: 464.

وفرعون في إشارة إلى قصة السحرة الواردة في الآيات 121-123 من سورة الأعراف، حيث كتب عبد الرحمن السعدي:

"بلد كوكيا وهو قديم جدا في ساحل البحر في أرض سغي، كان في زمن فرعون، حتى قيل حشر منه السحرة في مناظرته مع الكليم عليه السلام"[1]، وهذه الاشارة الواردة في كتاب تاريخ السودان تدل على وجود صدى لهذه الروايات الشعبية، التي قامت بتركيب روايات كانت تروى عن أصل سحرة فرعون في مدن نهر النيل - حيث حددت مناطقهم في مواضع عديدة - على مدن في ضفاف نهر النيجر، ومنذ القرن 6هـ/12م كانت بداية الميل إلى هذا التغيير في نص الإدريسي الذي تحدث عن موضعين على نهر النيل باعتبارهما المناطق التي جاء منها سحرة فرعون، وهما: بوصير أو بوصين وأنسينا ***Bûsïn* et** Bûsïr ou **Ansinà**، كما يتحدث أيضا عن موضع على ضفاف النيل اسمه كوغة/**Kûgha** وأنها مشهورة بالسحرة، وهي مرتبطة بطريق مع مدينة أخرى اسمها كَاوْكَاوْ/**Kawkaw** (كما هي في الكثير من المصادر العربية) حيث يمكن قلبه بسهولة الى قاو قاو/**Gâwgâw** واختصارا الى **Gâw *(Gaou)*** في بلاد السنغاي بإفريقيا الغربية، ولاشك أن هذا الدمج في الاسماء سهل جدا في الجغرافيا العربية الكلاسيكية، لأننا نقرأ في أحد النصوص (التي لم يعتمدها الإدريسي) أن نهري النيجر والنيل هما نهر واحد يجري من غرب أفريقيا إلى البحر المتوسط عبر مصر[2]، دون أن ننسى أن في إفريقيا الغربية ذاتها، وبالضبط في بلاد حوص الهاوسا المسلمة قد تم الاستمرار في إنتاج خرائط في بلاط الخليفة محمد بلو (حكم في الفترة من 1817 الي 1837م في سوكوتو) الذي كان يضم عددا من المثقفين، يظهر فيها نهر النيجر ممتدًّا إلى مصر؛ حيث نقرأ : "هذا بحر كوارَ [نهر النيجر] وهو الذي يصل إلى مصر حيث يُسمَّى النيل"[3].

---

(1) - al-Sa'di [ca:1655], Tarikh es-Soudan, p : 4, 6-7.

(2) - *al*-Idrisi [ca:1154], Kitâb Nuzhat al Mushtâq, éd et tr : partielles R.P.A. Dozy et M.J. de Goeje, Description de l'Afrique et de l'Espagne, *(*réimpression de l'édition de Leiden : E.J. Brill, 1866), Amsterdam, Oriental Press, 1966, p: 10,45,12,53; et P.F. de Moraes Farias, "Models of the World and Categorical Models", dans: J.R Willis (éd), Slaves and Slavery *in* Muslim Africa, 2vols, Londre: Cass, 1985, vol 1, Islam and the Ideology of Slavery, *p:* 227-246.

(3) - Narrative of Travels and Discoveries in Northern and Central Africa in the years 1822, 1823, and 1824, by Major Denham, Captain Clapperton and the late Doctor Oudney, 2éme éd, 2 vols, Londres: John Murray, 1826, 302-305, 309, 314, 330-331.

إن هذه الصلة المصطنعة بين الوثنية الإفريقية والشرق الأوسط في "الأزمنة الأولى" تحمل نقيضها في طياتها فبقدر اصطناع مشاهد من تاريخ أنبياء القرآن ونقْلها إلى غرب إفريقيا، سيكون الطريق مفتوحا لإعادة تشكيل صوَر العديد من الشخصيات، إذ لم يكتف بإعادة تشكيل صوَر أشخاص بالمنطقة من الفترة السابقة للإسلام، بل أيضا بإعادة رسم قصص أنبياء القرآن ذاتهم، وفي التقاليد المحلية لبنتيا-كوكيا يسود الاعتقاد بأن بعض المقابر في المنطقة تعود لصحابة النبي[1]، وفي الوقت نفسه يسود اعتقاد موازٍ وهو أن هذه الأضرحة ترمز للفترة الوثنية، في أحد تمظهرات التداخل بين ما هو مقدس إسلامي وما هو محلي، حيث يصبح الرمز الوثني رمزا إسلاميا أيضا، وهذه الانقسامات داخل هذا المجال الرمزي تجعل من بنتيا-كوكيا أحد مواقع الذاكرة، فبنفس الطريقة التي تستقطب فيها بعض الرموز في فرنسا اليمين واليسار على حد سواء، فإن هذه المنطقة من أفريقيا تكشف عن تعقيد التراث المحلي، وخلف هذا التعقيد تنكشف إلى حد ما هوية هذا التراث وتشرذماته وتفاعلاته الداخلية.

2- السّوق أو تادمكّت (أذرار-ن-ايفوغاس): موقع للذاكرة والنسيان:

في منطقة السّوق توجد آثار لمدينة قديمة، وفيها أيضا مقابر تحتوي على شواهد قبور عليها كتابات عربية ومؤرخة، كما توجد كتابات عربية أخرى على الصخور المحيطة بالوادي (*La Vallée*) تغطي الفترة من بداية القرن الخامس الهجري- الحادي عشر الميلادي إلى بداية القرن السابع الهجري- الثالث عشر الميلادي وخلال هذه الفترة كانت السّوق (المعروفة آنذاك باسم تادمكّت) محورا لطرق التجارة عبر الصحراء، ونحن نعلم أن المصادر العربية الوسيطية تشهد على ذلك جيدًا[2] .

ولكن بدءًا من القرنين السابع عشر والثامن عشر، لم يعد تاريخ تادمكت/ Tadmâkkât الوسيط جزءًا من ذاكرة السكان الذين يزعمون أنهم أصلاء في المنطقة. وحلت أساطير الأصول محل ذكريات التاريخ فأنتجت النقوش التي لا تزال ويمكن لنا اليوم أن نقرأها في الوادي . لكن هذه التواريخ لم

(1) - GIRONCOURT, G.-R. DE, "Les inscriptions de la nécropole de Bentia ", Comptes rendus de l'Académie des inscriptions et belles-lettres, *Paris,* 1911, , 198-206.

(2)- T. Lewicki, «Les origines et l'islamisation de la ville de Tâdmakka d'après les sources arabes», dans 2000 Ans d'histoire africaine: le sol, la parole et l'éçrit. Mélanges en hommage à Raymond Mauny, 2 vols, Paris: Société française d'histoire d'outre-mer, 1981, I, 439-44. Et Moraes Fanas, «The Oldest Extant Writing», 74, 77-79.

تعد ذات قيمة اجتماعية أو سياسية، وهكذا تم تشكيل الماضي وتذكره من خلال تمثّلات جديدة لا تزال ذات فائدة واقعية[1]، ورغم هذا النسيان فإن الذاكرة كانت تستعيد نقشا قديما ترسّخ فيها حول طبيعة المنطقة، إذ كان المسلمون في العصور الوسطى ينظرون إلى هذا الوادي باعتباره شبيها لحد التطابق بوادي مكة، ذلك أن المدينتين توصفان بأنهما :"تقعان بين جبلين وتقطعهما الوديان"[2]، ومع أن التسمية "تادمكت" قد تحتمل معاني أخرى، فإن المسلمين قد فسروها على أنها تعني: هنا مكة، أو شبيهة مكة[3]، وبهذه الطريقة تمت عملية تحويل رمزي تشبه ذلك التحول تجاه القبلة أثناء أداء الصلاة خمس مرات في اليوم، ففي هذه المنطقة الواقعة في نقطة قاصية من المجالات الغربية للعالم الإسلامي تم استدعاء صورة المدينة المقدسة ليكون هذا المكان تجسيدا لها، وهكذا عملت الذاكرة المجردة لمكة مكانا في السوق أو تادمكّت(*).

منذ القرنين 11هـ/17م إلى 12هـ/18م سيتم تجاوز تلك الصورة التي رسمتها المصادر لتادمكة في التاريخ الإسلامي الوسيط منطلقا ومركزا لعبور القوافل التجارية، ويتم تعويضها بصورة أخرى، وبنفس الطريقة التي سبقت الإشارة إليها في بنتيا/كوكيا سينظر سكان تادمكة للقبور الموجودة في وادي السوق على انها قبور لصحابة النبي، وتمت عملية تشكيل ذاكرة جديدة انطلاقا من التعارض بين الوثنية والاسلام، الذي يشير في عمقه إلى ذلك التعارض الهيكلي في المجتمع بين إنْسَلْمَن/ Ineselmân (*)، (المتخصصون في دراسة الإسلام أو المرابطون) وإمسْغان أو إمجغان، إمغاذ (المتخصصون في الحرب) داخل مجتمع كال-تماشق/*Kâl-Tàlmashâq* أو التوارق قبل الفترة

(1)- P.F. de Moraes Farias, " Text as Landscape",1992.

(2)- al-BakrT [1068], Al-Masâlik wa'l-Mamâlik, éd. et tr, partielles M.G. De Slane, Description de l'Afrique septentrionale (réimpression de l'édition d'Alger, 1911- 1913), Paris: Adrien Maisonneuve, 1965,p: 181, 339; Anonymous, Kitâb al- istibsar [ca. 1136], éd. Sa'd Zaghlul Abd al-I-Iamid, Alexandria, 1958, p: 181,339; et: al-Dimashqi [début du 14ème siècle], Nukhbat al-Dahr, éd. M.A.F. Mehren (réimpression de l'édition de Si. Petersburg, 1866), Leipzig, 1923,p: 239.

(3)- J.O. Hunwick, Shari'a in Songhay, Oxford et New York: Oxford University Press pour la British Academy, 1985, p: 6 note 2.

(*) **المترجم:** التسمية بربرية تماما وتتكون من ثلاثة مقاطع : تا اسم إشارة معناه هذه، دْ ضمير المفرد وتعني هي مكّت : بالتاء المفتوحة في آخر الكلمة هو النطق البربري لمكّة، والمعنى العامّ : هذه هي مكّة.

(*) إنسلمن أو ايمْسَلْمَن صيغة جمع في البربرية وتعني المسلمين .

الاستعمارية[1]، وهؤلاء الذين يحملون هذه الذاكرة التقليدية والحديثة في نفس الوقت، حتى ولو كانوا في أغلبهم يعرفون القراءة والكتابة فإنهم لا يقبلون على قراءة أي نقيشة من تلك الموجودة في مختلف مناطق الوادي ووضعها في سياقها التاريخي، وبالتالي نعثر من جديد في هذا المثال على الصراع بين الذاكرة والتاريخ.

لدينا من جهة نقوش صخرية في السّوق وتبدأ من سنة 404 هـ/ 1013-1014م[2]، ومن جهة أخرى لدينا المرويات الشفوية لـ اينسلمن كال-السّوق الذين يعدّون أنفسهم أصلاء المدينة ؛ نقوشهم وكذا وثائقهم الكتابية أيضا تقول أنها تعود إلى صحابة النبي الذين فتحوا تادمكة سنة 61هـ/680-681م بقيادة عقبة المستجاب[3]، وعلى الرغم من أن هذه الوثائق تحيل إلى تواريخ محددة بدقة، فإنها قد تخلت عن الرواية الأدبية الوسيطية المكتوبة، لتتبنى شكلا آخر من الأساطير المؤسسة المستقلة عن تسلسل وتتابع الحوادث التاريخية بالمنطقة.

في إفريقيا ليس أقل من أي مكان آخر ينبغي للمؤرخ أن يتجاوز الأمل في رؤية التاريخ والذاكرة ينجذبان إلى بعضهما البعض في كل المحطات، أو أن يجد دائما صلات جوهرية بين النقوش التي تعود للعصور الوسطى وبين الروايات الشفوية أو التاريخ المخطوط، لكن ينبغي التنبيه بعدم الجزم أن النصوص المكتوبة -بالنظر إلى أصالتها والقدرة على تحقيقها لمنع التحريف والغش في مضامينها- قادرة على إعادة تصوير الماضي بطريقة تجعلها تتفوق دوما على المصادر الأخرى، وهو ما نكتشفه بالنظر إلى النقوش العربية الوسيطية في مدينة ساني Sany [4].

---

(1)- S.J. Rasmussen, «Ritual Specialists» (1992); H.T. Norris, The Tuaregs, Warminster: Aris and Phillips 1975, 17, 22-25; et Elizabeth Hodgkin, «Social and Political Relations on the Niger Bend in the Seventeenth Century», thèse de Ph.D., University of Birmingham, Centre of West African Studies, 1987, 431-6.

(2) -P.F. de Moraes Farias, "The Oldest extant writing", 1990, p: 92-97.

(3) -Institut de France, Paris, Fonds De Gironcourt, MS 133.

(4)- ساني Sany هو نطقه الشائع من قبل المتحدثين بلغة السنغاي في غاو، ويكتبه الكثير من المؤلفين هكذا : Sanè. انظر:

R. Mauny, «Notes d'archéologie au sujet de Gao», Bulletin de 1IFAN, 13:3 (1951), 837-852; R. Mauny, Tableau géographique, 1961, 113-114, 498-499; C. Flight, «Gao, 1972: First Interim Report. A Preliminary Investigation of the Cemetery at Sane», West African Journal of Archaeology, 5 (1975), 81-

3- نقوش ساني الوسيطية والصعوبات في إثبات سياقها التاريخي:

في ساني، يغطي التل - الذي تشكل من أنقاض منازل - مدينة من القرون الوسطى. وبالقرب من التل، توجد مقبرة من العصور الوسطى تحتوي على شواهد قبور مكتوبة باللغة العربية وتحمل أسماء رجال ونساء عاديين، بالإضافة إلى شواهد قبور أخرى مكتوبة باللغة العربية تحمل أسماء وألقاب الملكات والملوك وبعض آبائهم وفروعهم. تزودنا هذه النقوش الإسلامية الملكية بمعلومات لم يسجلها أي نوع آخر من المصادر، عن الحياة السياسية والثقافية المحلية في أواخر القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، وخلال القرنين السادس والسابع الهجريين / القرنان الثاني عشر والثالث عشر بعد الميلاد.

توضح لنا شواهد القبور الملكية هذه في الوقت نفسه وبلا رحمة الصعوبات في مهمة دمج البيانات الكتابية مع البيانات التاريخية الأخرى. لكن هذه الصعوبات القاسية مرحب بها. ربما ستسمح لنا بالوصول إلى منهجية نقدية أكثر دقة.

كان سوفاجي/Sauvaget أول باحث ينشر ويحلل نقوش باني العربية الوسيطية، ولا يزال عمله نموذجًا للصرامة المنهجية. وقد أدرك أن الأسماء الموجودة في شواهد القبور ساني الملكية لم يتم تضمينها على ما يبدو في قوائم الملوك المسجلة في سجلات تمبكتو، فقد افترض وجود تطابق رئيسي بين هاتين المجموعتين. لكنه في الوقت نفسه تحجج بالقول إن قوائم الملوك في سجلات تمبكتو لم تعد ذات مصداقية، بينما - على العكس تمامًا - قدمت نقوش ساني الملكية للمؤرخ لأول مرة "مصدرًا حقيقيًا"، وهو مصدر معاصر. لذلك اقترح أن يتخلى المؤرخون عن القوائم الموجودة في سجلات تمبكتو، وأن يستبدلوها بمعطيات النقوش[1]. وهكذا كاد سوفاجي في حماسه المفهوم لنقوش ساني،

90; C. Flight, «Gao, 1974: Second Interim Report. Excavations In the Cemetery at Sane», article inédit, 1978, CWAS, University of Birmingham; C. Flight, «Excavations at Gao (Republic of Mali) in 1978», Nyame Akuma, 14 (1979), 35-37; C. Flight, «The Medieval Cemetery at Sane: a History of the Site from 1939 to 1950», in 2000 ans d'histoire africaine 1981, 1, 91-107; P.F. de Moraes Farias, «The Oldest Extant Writing» (1990), 66-67, 79-91.

(1)- J. Sauvaget, «Notes préliminaires sur les épitaphes royales de Gao», Revue des Études islamiques (1948), 5-12 (surtout 7-8); J. Sauvaget, «Les épitaphes royales de Gao», Al-Andalus, 14:1 (1949), 123-41 (surtout 132, 140-1); J. Sauvaget, «Les épitaphes royales de Gao» [réimpression], Bulletin de *li FAN,* 12:2 (1950), 418-40 (surtout 429, 438-40). Les travaux de

أن ينسى أن معطيات النقوش، مثلها مثل معطيات علم المسكوكات، ولكن على عكس السجلات، هي مواد خام وليست منتجات اصطناعية ومنتهية. ولن يكون من غير المبرر مقارنتها بقطع غامضة لا نعرف الرسم الكلي لها والعدد الإجمالي للقطع. ولا يمكن التكرار أو المبالغة في التأكيد على أن هذه المعطيات نادرًا ما كانت تهدف إلى أن تكون بمثابة حسابات تركيبية للماضي، تم وضعها لصالح مؤرخي المستقبل وقابلة للاستخدام من قبلهم لإعادة البناء التاريخي للماضي على نطاق واسع بكل ثقة مع استبعاد البيانات الأخرى[1].

على عكس سوفاجي، قام مؤلفون أكثر حداثة بفحص نقوش ساني في ضوء المصادر السردية باللغة العربية، واستخدموا أيضًا الروايات الشفوية التي تم جمعها منذ القرن الماضي[2].

يعود أقدم النقوش المكتشفة حتى الآن في ساني إلى عام 481 هـ/ 1088 م. إنه نقش (يتكرر مع اختلافات على كل وجه من شواهد القبر) لامرأة مسلمة ليست من العائلة الأميرية اسمها مكية بنت حسن الحاج. لقد رصد هذا الشاهد في عام 1982 وتم تحديد نسخه الأربع في قوائم من خلال التعيينات A.1 / 82 و B.1/82 و A.2/82 و B.1.2 / 82 والأقدم بين النقوش الملكية من نفس الموقع هو الشاهد 2/39، الذي يعود إلى I-494-1 هـ/ XI-1100-6 م ونشره سوفاجي. أمّا أحدث النقوش

Sauvaget sur ce sujet ont été continués, avec la même rigueur méthodologique, par Mme M.-M. Viré, «Notes sur trois épitaphes royales de Gao», Bulletin *de 11 F* (B), 20:3-4 (1958), 368-76; M.-M. Viré, «Stèles funéraires musulmanes soudano-sahariennes», Bulletin de 11 F (B), 21:3-4 (1959), 459-500.

(1)- D.P. Henige, «Some Phantom Dynasties of Early and Medieval India: Epigraphic Evidence and the Abhorrence of a Vacuum», Bulletin of the School of Oriental and African Studies, 381:3 (1975), 544-5.

(2)- J.O. Hunwick, "Al-Maghili's Replies w the Questions of Askia al-Hajj Muhammad, edited and translated with an introduction on the history of Islam in the Niger Bend to 1500", thèse de Ph.D. inédite, School of Oriental and African Studios, University of London, 1974, 416-32; J.O. Hunwick, "Gao and the Almoravids: a Hypothesis", in B.K. Swartz Jr and R.E. Dumett (éds), West African Culture Dynamics: Archaeological and Historical Perspectives, La Haye: Mouton, 1979, 413-30; J.O. Hunwick, *Shari`a in Songhay,* 1985, 9-11; D. Lange, "Neue Erkenntnisse zur Geschichte von Songhay", Afrika und Übersee, 71, 1988, 8-9; D. Lange, "Les rois de Gao-Sané et les Almoravides", Journal of African History, 32:2 (1991), 251-75.

المؤرخة في ساني (1/71) فهو أيضًا موجودة في الضريح الملكي. تم رصد هذا الشاهد لأول مرة وتصويره في عام 1971 من قبل الأستاذين ج. أو هونويك/ Hunwick و إتش أي لامب/H.A.Lamb . يعود تاريخه إلى 14 ذو الحجة 678 (أو ربما 698) هـ/16 أبريل 1280 (أو ربما 12 سبتمبر 1299) ويحمل الاسم (أو العنوان) زوا بن ارقم (نوع آخر من الشكل كتب أيضًا "جوا"، "جا"، "زا"، أو "زوا"، في مخطوطات حوليات تمبكتو)[1].

يبدو حسب ما هو معروف الان أنه مع نهاية القرن السابع الهجري - الثالث عشر الميلادي توقف استخدام مقبرة ساني، ربما بسبب الاضطرابات السياسية والتحولات الناجمة عن إقامة السيادة على أي حال، ومنذ وقت لا يمكن تحديده بوضوح، لم تعد مدينة القرون الوسطى ساني نفسها ذات صلة بسلاسل الأنساب المحلية وقصص الأصل . لذلك لم يعد يظهر في الذاكرة التاريخية لسكان المنطقة.

بعد اختفاء ساني من التاريخ، لم تمارس المدينة أي دور في إعادة إحياء الماضي الذي صنعه السنغاي، والكل تماشق، وغيرهم، واليوم لا نجد ضمن روايات السنغاي ولا روايات الكل تماشق أي حديث سواء على مدينة ساني الأثرية أو المقبرة المجاورة لها، بينما نجد العديد من الأساطير الحديثة مرتبطة بالآثار والنقوش الوسيطية الموجودة بتادمكة/السوق، وآدغاغ إيفوغاس، وكوكيا/بنتيا، وعلى العكس من ذلك لا توجد روايات حديثة حول النقوش العربية التي لا يزال من الممكن رؤيتها في ساني وفي غاو حول مسجد الأسقيا[2]، وهذا الصمت الطويل قد استمر منذ قرون، ذلك أن حوليات تمبكت التي كتبت في القرن 11هـ/17م لا تقدم لنا أي معطيات حول مدينة ساني، وكل هذا يمكن تفسيره بأن المدينة لم تجد لها موضعا ضمن الثقافة المحلية، لم تفلح مواقع ساني في جذب انتباه الزوار

(1)- أقدم شكري هنا إلى البروفيسور أنويك/ J.O. Hunwick على تمكينه لي من الوصول لصوره الفوتوغرافية وملاحظاته التي سجلها سنة1971..

(2)- يمكن أن نضيف هنا أن هناك شيئًا مماثلاً حدث فيما يتعلق بالتاريخ الشفهي لسلاطين السنغاي في القرنين 9-10هـ/15-16م، على الرغم من أن النسيان في هذه الحالة ليس جذريًا كما في حالة ساني، منذ سقوط الإمبراطورية في عام 1591، تم تحرير التقليد الشفوي من عبئ الذكريات التاريخية الدقيقة لحكام غاو، حيث تراجع التاريخ الإمبراطوري لصالح هذا النوع من الأسطورة من ناحية، ومن ناحية أخرى لصالح القصص التي تشكلت على مستوى القبائل المحلية، ومع ذلك؛ في الوقت الذي كانت فيه مميزات التاريخ الإمبراطوري لا تزال وثيقة الصلة بالموضوع، كانت الرواية الشفهية قد أصبحت مصدرًا للمعلومات المتعلقة بالسيرة الذاتية، والتي تقدم سيرة ذاتية دقيقة جدًا عن سلاطين السنغاي. انظر: Ta’rïkh al-Fattâsh, 177-8, 276.

الأجانب والسلطات الاستعمارية حتى الثلاثينيات (حيث تم اكتشاف النقوش الأولى بالصدفة في عام 1939)، إذ بقيت مجهولة لدى بارث/Barth على الرغم من زيارته لغاو في عام 1854، وفي عام 1911 قصد جيرونكور/ G. R. de Gironcourt منطقة قاو، من أجل تحديد الموقع ورفع النقوش الكتابية فيه، وقد فعل ذلك في مقابر غاو القديمة، لكنه لم يكن يعلم شيئًا عن نقوش ساني على الرغم من أنه اضطر إلى عبور المقبرة في رحلة العودة التي قام بها بين غاو وأدغاغ-إيفوغاس[1].

4- معطيات أهملها المؤرخون حتى الآن: وجود اسم مدينة ساني في قوائم ملوك سنغاي:

من الواضح جدًا أن مدينتين تعايشتا في منطقة **قاو-ساني** في القرنين الرابع والخامس الهجريين / العاشر والحادي عشر الميلاديين. كانت إحداها هي المدينة التي لا تزال تسمى كاوكاو «**GawGaw**» «**Jawjaw**» من قبل الناطقين بالبربرية، وهذا الاسم تم تصحيفه في المصادر العربية الوسيطية إلى كاوكاو "Kawkaw" أو جاوجاو "Jawjaw " (Gawgaw) وفي هذه المرحلة وجدت هذه المدينة الملكية إما على الضفة الغربية أو الشرقية لنهر النيجر، وكانت المدينة الأخرى مدينة تجارية أساسا وتقع شرق نهرالنيجر، وهي تتوافق مع موقع ساني.

الاستثناء الوحيد الذي يجب لفت الانتباه إليه، هو أن المصادر العربية في العصور الوسطى لا تعطي اسمًا مميزًا لهذه المدينة التجارية، ويعد ياقوت الحموي الذي كتب في الفترة ما بين 609-626هـ/ 1212- 1229 م والذي يقتبس من مؤلف أقدم هو المهلبي الذي كتب بين 365-386هـ / 976-996 م - هو الوحيد الذي يعطي المدينة اسما منسوخا في نص ياقوت ويُقرأ: **سرناة**[2].

كما أشرنا من قبل؛ لا توجد إشارة صريحة إلى سرناة أو ساني لا في تاريخ السودان للسعدي ولا في تاريخ الفتاش، ولا في النص الملحق بتاريخ الفتاش لمؤلف مجهول، ولا في حوليات تمبكتو التي تؤرخ لمنطقة منعطف النيجر.

ومع ذلك، نلاحظ في النص العربي المطبوع لتاريخ السودان،على قائمة ملوك سونغاي من اسرة "زا" إشارة لم ينجح المؤرخون لحد الآن في الانتباه إليها؛ وتتعلق بالملك الذي يحتل المرتبة التاسعة

(1) - G.-R. de Gironcourt, Missions De Gironcourt en Afrique occidentale, 1908-1909, 1911-1912, Paris: Société de géographie, 1920.

(2)- Yàqût, Mu'jam al-Buldân, éd: F. Wüstenfeld, Jacut's Geographisches Worterbueh aus den Handschriften zu Berlin , St. Petersburg und Paris, 6 vols, Leipzig, 1866-1873, IV, 329.

(وقد يكون يحتل المرتبة العشرين) والمدرج في القائمة تحت اسم: **زانِنْتَاسَنى** أو **نِنْتَاسَنِ**، وهو نفس الشكل المسجل في المخطوطة التي تحتوي على جزء من بداية تاريخ السودان للسعدي، والمحفوظة في داكار بالمعهد القاعدي لإفريقيا السوداء: الشيخ أنتا ديوب، تعطينا مخطوطة تاريخ السودان المحفوظة بالمكتبة الوطنية بالجزائر الاسم نفسه: **زانتاسنى**،(ربما تقرأ: **زانتاسنى**)، بينما في مخطوطة تاريخ السودان المحفوظة في المعهد الفرنسي في مجموعة جيرونكورت/ G. R. de Gironcourt نعثر على الشكل: **زاتِنْتَاسَنى**/ Zâ Tintàsinay يمكننا أن نضيف هنا أسماء الملوك: 19 و23 على التوالي: **نتاسني وتنباسِنَى** حسب قائمة ملوك: **زا** المنشورة في ألمانيا منصف القرن 19 من طرف: رالف/Ralfs[1]، ولاتزال طريقة النطق القديمة لهذه الأسماء وتحليلها مشكلة قائمة، لكن يبدو أنها تحتوي على جزء نهائي يمكن قراءته على أنه: **سَنَيْ**/Sanay أو: سِنَيْ/Sinay أو سَنُيْ /Saney، ومن الممكن تمامًا أن يكون عنصرًا مدرجًا في الأسماء الملكية المرتبطة بشكل خاص بمنطقة ساني.

على القوائم المذكورة سابقا؛ من المفترض أن يكون الملك (أو الملوك؟) الحامل لهذه الأسماء قد حكم بعد: **زا كُسُي مسلم دَمْ**، وهو الحاكم الذي يحتل الرتبة 15 ضمن أسرة : **زا** حسب كتاب تاريخ السودان، وأول الملوك اعتناقا للإسلام، (في عام: 400 هـ / 1009-10 م وفقًا للمصدر نفسه)، وانطلاقا من هذا فمن المتصور أن الأسماء الملكية التي تحمل اسم: "ساني" قد استحضرت دور حاكم مسلم قام بنقل عاصمته من مدينة جاوجاو إلى مدينة ساني في القرن: 5هـ/11م، أو إذا افترض المرء أن سلالة ساني كانت متميزة عن سلالة جاوجاو، وقد تم اقتراح إضافة أعضاء لاحقين من سلالة ساني بشكل مصطنع إلى قوائم ملوك جاوجاو التي تحتفظ بها حوليات تمبكتو، لكن هذه الحوليات لا تعطي أي سياق تاريخي يربط بشكل خاص هذه الأسماء بالمدينة، وفي هذه الحالة سيكون على المؤلف

(1)- Ta'rïkh al-S usdân, (1) éd. et trad. Houdas, 1964, 3, 5; (2) Institut Fondamental d'Afrique Noire: Cheick Anta Diop, Fonds Brévié-Sud, MS 19, f. 2; (3) Bibliothèque Nationale, Alger, Fonds Ben Hamoûda, MS 4, f. 3v; (4) Institut de France, Paris, Fonds De Gironcourt, MS (2414) 200, f. 1v. C. Raifs, "Beitrâge zur Geschichte und Geographie des Sudan. Eingesandt von Dr. Barth", Zeitschrift der Deutschen Morgenlàndischen Gesellschaft, 9 (1855), 521. Sur les MSS d'Alger et de Dakar, voir: V. Monteil, «Les manuscrits historiques arabo-africains (III)», Bulletin de l'!.F.A.N., B, 29:3-4 (1967), 599-603, et T. Diallo et al, Catalogue des Manuscrits de l'IF.A.N, Dakar: I.F.A.N., 1966, 87.

وفيما يتعلق بعدد الملوك الواردة في قائمة الحكام حسب المخطوطات المختلفة؛ راجع الملاحظات على الترجمة الجديدة لتاريخ السودان التي أعدها البروفيسور أنويك/J.O. Hunwick

المهتم بتاريخ مدينة ساني العودة إلى سوفاجي، والقيام بتجاوز معطيات حوليات تنبكتو والاقتصار على معطيات النقوش فقط، ومما يعزز هذا التوجه تأكدنا من وجود معلومات مفقودة من حوليات تمبكتو وكتابات مؤلفي العصور الوسطى كما سنرى فيما يلي.

5- بعض المعطيات الجديدة المستخلصة من نقوش مدينة: ساني:

يتم لأول مرة هنا نشر النقيشة رقم 3/82 من التصنيف الذي وضعناه لنقوش ساني، وما تتضمنه يسمح لنا بطرح أسئلة جديدة على المصادر الأدبية، بما في ذلك أخبار مدينة كوكو (جوجو) عند البكري في كتابه "المسالك والممالك" الذي ألفه سنة: 460 هـ / 1068 م، ولكنه يحتوي على معطيات مأخوذة من العمل المفقود للوراق (ت: 363 هـ/ 973 م) بالإضافة إلى معلوماته الأصلية؛ فقد كتب البكري أنه ملك مدينة كوكو كان يطلق عليه لقب : **قندا**، وهو اللقب الذي لا يظهر في قوائم حوليات تمبكتو، ولم يتم العثور عليه حتى الآن في أي نقش من القرون الوسطى[1]، ومع ذلك فإن لدينا الآن لقبا مشابها في هذا الشاهد لقبر إحدى الملكات:

النقيشة:3/82

[1] ...م الرحمان الرحيم ..... [2]...ى الله على النبي محمد ..... [3]...س ذائقة الموت وإنما [4].....ن أجوركم يوم القيامة [5].....زحزح عن النارودخل [6]...نة فقد فازوما الحيوة [7]...نيا إلاّ متاع الغرور [8] هاذ قبر الملكة مبيروا؟ [9] بنت قندا رحمة الله عل..... [10] توفيت يوم الجمعة .... [11] شهر ذو القعدة خ.... [12] منه ثلاثة عشر يو....

في هذه النقيشة نفتقد إلى سنة الوفاة، ولكن هناك أوجه تشابه بين نمط هذه النقيشة ونقائش أخرى ذات تواريخ واضحة، خاصة تلك التي تحمل رقم: 1/50 و 2/50 (وأرقامها: 15و16 في قائمة فيري)[2]، ذلك أن النقائش3/82- 1/50- 2/50 ثلاثتها من حجارة ذات أصل محلي، وهي منقوشة بأشكال مختلفة من الخط الكوفي الذي يكتب به القرآن بالمنطقة، يحمل النقش 1/50 اسم امرأة تدعى: **بريقة بنت كوري**؛ التي توفيت ليلة الجمعة: 23 من ذي الحجة 534 هـ/ 1140/8/9 م، ويحمل النقش 2/50 اسم امرأة أخرى تدعى: **نمي**؛ توفيت ابنتها في تاريخ غير محدد من العقد الذي يلى العام:

(1)- al-Rakrï, 1965, 342.

(2)- Viré , «Stèles funéraires» (1959), 469-73.

540 هـ؛ أي خلال الفترة ما بين 1146 و 1155 م، لذلك يمكننا أن نقترح قياسًا إلى ما سبق الفترة ما بين 530 هـ / 1135 م و550 هـ/ 1155م لوفاة الملكة المذكورة في النقش 3/82، كان سلف المرأة أيضًا مذكورا على النقيشة باسم: **قندا**، فإذا كان والد الملكة لكان على قيد الحياة وبصحة جيدة خلال العقود الأخيرة من القرن 5هـ / 11م، ولكن يجب علي أن أشير إلى عدم إمكانية الجزم أنه هو ذاته الملك **قندا** الذي تحدث عنه البكري، ذلك أن النقيشة لا تمنحه لقب ملك.

إن الأسماء الموجودة في النقيشة التي تحمل رقم: 3/82 تطرح علينا مشكلات تتعلق بالتسلسل الزمني لملوك غاو لا يزال من الصعب حلها، منها أن اسم الملكة لا يحتوي على نقاط تضبط النطق الصحيح له، لذلك فهو يتيح تعدد القراءات بتعدد موضعة النقاط على حروفه، وللسبب نفسه يمكن قراءة اسم سلف الملكة إما "**قندا**" (والتي من شأنها أن تجعله اسمًا للملك الذي ذكره البكري) أو "**فندا**"، وقد تم توثيق استخدام هذا الاسم الأخير كاسم الملك في العصور الوسطى عن طريق نقيشة أخرى تحتوي على نقاط التشكيل في تاريخ لاحق، هذه النقيشة تحمل رقم: 5/50 ، وقد نشرناها بأنفسنا قبل بضع سنوات فقط[1]. وقد حافظت بوضح على الاسم واللقب واسم السلف كالتالي: **الملك فندا بن اربني بن زاغي**، الذي تم تأريخ وفاته بـ: الخميس (في الحقيقة كان ذلك يوم الجمعة) 17 محرم 600هـ الموافق لـ: 26 ماي 1203م، ومن ناحية أخرى فإن الاسم: **قندا** لا تشهد عليه أي نقيشة منقوطة، في الكتابة العربية وبسبب النقط قد يتم الخلط بين الكلمتين: قندا وفندا بسهولة، ويمكن أن يتصور المرء كأحد الاحتمالات البعيدة أن قندا في نص البكري هو خطأ من الناسخ، ويجب عندئذ استعادة اللفظ: فندا، ولكن الإشكال لا ينتهي هنا، فبالإضافة إلى طريقة قراءة اسم سلف الملكة في النقيشة رقم: 3/82؛ لا يزال من المستحيل إثبات ذلك، لأن الاقتراح: **قندا** يمكن أن يكون النسخ العربي لاسم الشخص كاندا/Kanda الموجودة في لغة السنغاي؛ هذا الاسم هو اختصار الجملة: إركوي ما ني كاندا / Irkoy ma ni Kanda أي: يحفظك الله أو يحميك

(1)- P.F. de Moraes Fanas, «Du nouveau sur les stèles de Gao: les épitaphes du prince Yama Kûri et du roi F.n.dâ (Xllle siècle)», Bulletin de l'I.F.A.N, B, 363 (1974), 511-24.

الله[1]، كاندا/Kanda قد تعني أيضًا في نفس اللغة: اعتنق الإسلام[2]، وفي بعض الحالات فاندا/Fanda قد يكون اسم شخص مرتبط بكلمة: فوندا/ fonda التي تعني المسار، أو الطريق وهو اسم معروف بين متحدثي هذه اللغة[3].

بالإضافة إلى هذه المشكلات؛ ينبغي أن نضيف إليها مشكلة أخرى تتعلق بعدم وجود أي إشارة في نقائش ساني إلى الدور السياسي الدقيق للملكة الوارد اسمها على النقيشة: 3/82، أو عن الدور الذي قامت به ملكات أخريات وردت أسمائهن في هذه النقوش، وتظل المصادر العربية الوسيطية وحوليات تنبكت والروايات الشفوية صامتة أيضا حول هذه القضية.

هناك نقش آخر في ساني يعطينا اسم الأمير، والجد الملكي الذي نفتقده، في حدود معرفتنا الحالية بالموضوع محل البحث يبدو أن هذا الجد الملكي هو أقدم الشخصيات التي تحمل لقب: ملك في كل النقوش المكتشفة بموقع ساني؛ إنها النقيشة التي تحمل رقم: 14/73، والتي اكتشفها عالم الآثار فليغث/C. Flight في عام 1973 أثناء الحفريات التي أجريت بمبادرة من مركز الدراسات الغرب إفريقية بجامعة برمنجهام:

النقيشة:73/ 14

[1] بسم الله الراحمن الرحيم وصلّ الله [2]على محمّد يا يها الناس إن وعد [3]الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا [4]ولا يغرنكم بالله الغرور هاذا [5]قبر سليمان إبن الملك يغاوي؟[6] رحمه الله توفّى يوم الخميس [7]في شهر جماد الأول مضى فيه ...[8] وعشرون يوما الذي من سنة سبع؟[9] وخمس مائة من التاريخه[4].

---

(1)- أنا ممتن جدًا للسيد زبيرو مايغا/ Zoubeïrou Maïga، باحث من السنغاي، أصله من بورام إنالي/ Bourem-Inaly (حيث يتم الحديث بلهجة غاو للغة السنغاي)، وهو الذي أمدنا بالتفاصيل الكافية لفهم دلالة الاسم " كاندا "، وذلك خلال المناقشة التي تلت محاضرتي في كلية الآداب بجامعة محمد الخامس في 13 ماي 1993، السيد مايغا حاليا يعد أطروحة الدكتوراه في المعهد العالي للصحافة بجامعة محمد الخامس.

(2)- Le Lexique sonoy-français, Bamako: D.N.A.F.L.A.—Section linguistique, 1984, 36.

(3)- هذا ما انتهيت إليه في ملاحظاتي التي جمعتها بغاو، ثم أكدها السيد زوبيرو مايغا في رسالته بتاريخ: 8 جوان1993.

(4)- هذه النقيشة غير معروفة تقريبا، إذ لم يتم نشرها حتى الآن سوى في كتاب طباعته رديئة، انظر:

تاريخ النقيشة مبهم، ذلك أن نهاية الكلمة الأخيرة في السطر الثامن من النقيشة غير واضحة، يمكننا قراءة هذه الكلمة ستة، أو: سبعة، وربما: تسعة، بالإضافة إلى أن الكلمة الأخيرة من السطر السابع مفقودة، تاركة عدد الأيام المنقضية من شهر جمادى الأول مجهولة، ومع ذلك فإن الجزء المقروء من النقيشة يخبرنا أن وفاة سليمان حدثت في يوم الخميس خلال الفترة من 21 إلى 29 من شهر جمادى الأولى، إذاً التواريخ الأربعة الوحيدة الممكنة هي: **1**- الخميس 22 جمادى الأولى 506هـ/ 6 نوفمبر 1112م. **2**- الخميس 9 جمادى الأولى 506 هـ/21 نوفمبر 112م. **3**- الخميس 24 جمادى الأولى 507هـ/ 6 نوفمبر 1113م. **4**- الخميس 23 جمادى الأولى 509هـ/ 14 أكتوبر 1115م.

النقيشة رقم: 14/73 مصنوعة من الحجر المحلي، والنقش فيها واضح جدا ويتميز بتأثير المتغيرات المحلية على الخط الكوفي بدرجة كبيرة، خاصةً في رسم الحروف: **ص** في بداية الكلمة (السطر 1)، **ض**: في الوسيط (السطر 7)، **ك** في وسط الكلمة ونهايتها (الأسطر: 3 و4 و5) و **ي**: (السطر 2) **ي**: في نهاية الكلمة (الأسطر 5 و6 و7 و8) و **غ**: في وسط الكلمة (الأسطر 3 و 4 و 5)، وتوجد أحرف منمقة خص بها لقب: الملك، لا توجد نقاط مميزة، مما يجعل من الصعب قراءة اسم الملك، الحرف الأول قد يقرأ: **ب، ت، ث، ن، ي**، والحرف الثاني قد يكون: ع أو غ، ولم يتم وضع علامة حرف علة بين الحرفين. لذلك يمكن قراءة الاسم: يعاوي، نغاوي، بعاوي، تغاوي، ثغاوي ...إلخ.

إذا كان يغاوي؟ هو والد سليمان؛ فإن هذا الملك كان حاكما في النصف الثاني من القرن 5هـ/11م، أوفي بداية القرن 6هـ/12م، وهو ما يمكن الربط بينه وبين ملك آخر ورد اسمه على النقيشة رقم: 4/43 ومثلتها:5/43 مكرر،والتي نشرها سوفاجي تحت الرقمين:5 و5 مكرر، هذين النقيشتين تتعلقان بالأميرة **عائشة بنت الملك كوري** التي توفيت يوم السبت 9 جمادى الأولى سنة:511هـ/8 سبتمبر 117م[1].

P.F. de Moraes Farias, «Some Reassessments and Recent Findings concerning Epigraphic Evidence from the Niger Valley and the Sahara», Actes du IVème Colloque Euro-Africain sur lhistoire du Sahara et des relations transsahariennes, Erfoud (Maroc) 20-25 Octobre 1985, Bergamo: Institut International d'Anthropologie—Centre International de Recherches Sahariennes et Sahéliennes, 1986, 79-109 (surtout 104-5).

(1)- J. Sauvaget, «Les épitaphes royales de Gao» (1950), p: 430-2.

من المفترض أن الملك يغاوي؟/ الملك كوري (إذا كانت عائشة ابنته) قد حكم خلال النصف الثاني من القرن 5هـ/11م أو في وقت مبكر من القرن: 6هـ/12م، لذلك فنحن مجبرون على مواجهة مشكلة لا يمكن حلها انطلاقا من الإضاءات التي قدمتها النقيشة، وباعتبار المصادر الأدبية الوسيطية، وحوليات تمبكتو في القرن 17 والتقاليد الشفوية، لا تقدم لنا أي إجابة حول: ما هي العلاقة بين ملوك مثل يغاوي وكوري وغيرهم من الملوك الذين كانوا على ما يبدو قد عاصروا بعضهم؟ وهذا استنادا إلى أسمائهم وتواريخ وفاتهم الواردة في هذه النقوش التي سجلت على رخامات ألمرية الشهيرة، والموجودة أيضا في مقبرة ساني مما نشره سوفاجي و فيري وهي: (494 هـ/ 1100 م، 503 هـ/ 1110م، 514 هـ /1120م).

انطلاقا من هذه المشكلات يمكننا أن نرى أن الأمل الذي عبر عنه سوفاجي بالعثور على ما هو مفقود في حوليات تمبكتو كان أملًا وهميا، فهذه النقوش لا تتيح لنا إدراك العلاقة بين القطع التي قدمها لنا، ولا تحافظ على سياقها التاريخي، وفي ظل غياب هذا السياق يبقى إعادة تركيب الماضي بعيد المنال.

6- النتائج: الحاجة إلى التفكير فيما وراء محاولات إعادة بناء عام للتاريخ القديم لساني وجوجو (غاو):

إن مساهمات سوفاجي وموني في معرفة ماضي أدغاغ إيفوغاس وثنية النيجر في حدود الوسائل المتاحة آنذاك بالغة الأهمية وجديرة بالاحترام، وقد اكتشفوا مختلف الاحتمالات التي تفتحها افتراضات منهجية معينة، ولكن من الصعب الآن أن نصدق مع سوفاجي أن النقوش التي تعود للفترة الوسيطة بالمنطقة قادرة على سد النقص في الروايات المعاصرة وتقديم معطيات مفصلة بما فيه الكفاية؛ لتوفر لنا في الأخير رؤية واضحة لترتيب فترات الحكم وسلاسل النسب لملوك وملكات ساني وجاو في القرون:5هـ/11م،6هـ/ 12م،7هـ/13م،وغنيّ عن القول إن النقوش أقل قدرة على إعلامنا بالتنظيمات السياسية في ذلك الوقت.

فيما يتعلق بهذه المنطقة محل الدراسة، من الصعب أيضًا تشاطر الأمل المعبر عنه في العمل العظيم لريمون موني على الرغم من أننا نعلم أن معظم المواقع الأثرية التي تم تحديدها بالفعل في

المنطقة لا يزال يتعين التنقيب فيها، فحتى النقوش، والحفريات الأثرية لا يمكن أن تكون بديلا عن الكتابات المعاصرة التي نفتقدها.

ولكن رغم كل ذلك لا يوجد شيء يفاجئنا أو ييئسنا، ففي أفريقيا - كما هو الحال في أوروبا أو في أي مكان آخر- ليس من الممكن دائمًا بناء روايات تركيبية تعيدنا إلى الوراء في الماضي البعيد وبنيته، وهو ما يسمح لنا بالقول أن معطيات النقوش العربية، وعلم الآثار، والروايات الشفوية، والحوليات، وكل ما يدرّه العصر الوسيط من معطيات؛ يمكن تمثيله بالنسبة للمؤرخ الراغب في استخدامها بالطوب المتساقط من جوانب مختلفة من نصب معماري منهار، حيث يعمل على استعادة بنيته في مخطط عام، فإذا كان الانهيار جذريًا فإننا لا نعرف مقدمًا أي خط من هذا المعمار، وبالتالي لم يعد بالإمكان تذكره، وستكون المعطيات الكتابية والشفهية قد فقدت القدرة على تمثله، وهذا بالضبط ما حدث مع ساني، وفي حالات أخرى ستتم مراجعتها من خلال اعتبارها هياكل نموذجية لجوهر المعمار المتشكل في أوقات أكثر حداثة؛ وهذه هي حالة: السوق وبنتيا/ كوكيا، وعندها ماذا نفعل؟

يقولون "السياسة هي فن الممكن"، والتاريخ ليست أقل من ذلك، ولكن يمكننا الوصول لوضع الحد الذي نعتبره الممكن والمعروف، يمكننا الرجوع إلى غاية سنة: 404 هـ/ 1013 - 1014 م، كلا النقيضين في التقاليد الكتابية ضمن المجالات التي تشمل أدغاغ إيفوغاس وثنية النيجر، قد تبين أن الخط العربي للعلماء كل السوق في القرنين 19 و20 له جذور في هذه النقوش، لقد بدأنا نفهم بشكل أفضل تطور فن الخط في المنطقة من خلال هذه الألواح، ويمكننا الآن تتبع مسار التأثيرات عبر الصحراء، وليس فقط انطلاقا من الأندلس (كما صرح بذلك كل من: سوفاجي وفيري)، ولكن أيضًا من القيروان، وعلى الأرجح من أجزاء أخرى من شمال إفريقيا، إن وجود نقوش عربية قديمة في بنتيا/كوكيا يثبت لنا أنه على عكس رأي بعض المؤرخين كان الإسلام موجودًا بالفعل في المنطقة قبل القرن 10هـ/16م بفترة طويلة.

عندما يكون نسيج الماضي ممزّقًا ولا يمكن إصلاحه، غالبًا ما يمكن استرداد عدة خيوط ملتوية من نفس الماضي، ويمكن متابعتها طويلا من حقبة إلى أخرى، وهكذا يمكن اكتشاف تسلسلات تاريخية غنية، وشعب معرفية متوازية (ومن بينها عدة تخصصات حول تاريخ الكتابة في غرب إفريقيا)، ورؤية تاريخ طويل بدلاً من تاريخ مجمل نتوقع أن نتمكن من تشكيله حتى إذا كان من الواضح أن أي سرد كامل للماضي لا يزال مستحيلا.

* * *

بيبلوغرافيا

(ملحق بالدراسات الواردة في النص)

1- مجموعة من النصوص العربية في العصور الوسطى (مع ترجمة إلى الروسية) عن إفريقيا جنوب الصحراء:

– KUBBEL, L.E. et MATVEEV, V.V. (eds et trads), **Arabskie Istochniki po etnografii i istorii Afriki yuzhnee Sakhar'i**, 3 vols, Volume I: **VII—X Vekov**, Volume II: **X—XII Vekov, Moscow-Leningrad: Izdatel'stvo Akademiya Nauk SSSR, 1960–1965, Volume III: XII-XIII Vekov**, Leningrad: Izdatel'stvo «Nauka», 1985.

2- مجموعات ترجمات للنصوص العربية في العصور الوسطى عن إفريقيا جنوب الصحراء:

– CUOQ, J.M. (trad.), **Recueil des Sources Arabes concernant l'Afrique occidentale du VIIIe au XVIe siècle (Bilād al-Sūdān)**, Paris: Éditions du .C.N.R.S., 1975.

HOPKINS, J.F.P. et LEVTZION, N. (trad. et annot.), **Corpus of Early Arabic Sources for West African History**, Cambridge: Cambridge University Press, 1981.

3- بعض الأعمال عن النقوش والكتابات العربية القديمة وعلم الخط العربي وحول الساحل وثنية النيجر:

1. ABITBOL, M., **Tombouctou et les Arma**, Paris: Maisonneuve et Larose, 1979.
2. AMARI, M., **Le epigrafi arabiche di Sicilia. Iscrizioni sepolcrali, I, II, III**, Palermo: Società Siciliana per la Storia Patria, 1879-1885.
3. ARIF, A.-S., **Arabic Lapidary Kufic in Africa. Egypt-North Africa-Sudan**, Londres: Luzac, 1967.
4. BERNUS, S. et al. (eds), **Le fils et le neveux. Jeux et en jeux de la parenté touarègue**, Cambridge: Cambridge University Press et Paris: Maison des sciences de l'homme, 1986.
5. – – – BIVAR, A.-D.H., «The Arabic Calligraphy of West Africa», **African Languages Review**, 7 (1968), p: 3-15.
6. BOURRILLY, J. et LAOUST, E., **Stèles funéraires marocaines**, Paris: Larose, 1927.
7. BYNON, J., «The Contribution of Linguistics to History in the field of Berber Studies», in : D. Dalby (ed.), **Language and History in Africa**, London: Cass, 1970, p: 64-77.
8. CHAKER, S., **Textes en linguistique berbère**, Paris: C.N.R.S., 1984.
9. CISSOKO, Sékéné-Mody, **Tombouctou et l'empire songhay**, Dakar-Abidjan: Les Nouvelles Editions Africaines, 1975.

10. DEVERDUN, G., **Inscriptions arabes de Marrakech**, Rabat: Éditions techniques nord-africaines, 1956.

11. FLURY, S., **Islamische Schriftbänder, Amida-Diarbekr (XI Jahrhundert)**, Bâle et Paris, 1920.

12. HALE, T.A., Scribe, **Griot and Novelist: Narrative Interpreters of the Songhay Empire**, Gainesville: University of Florida Press, 1990.

13. HODGKIN, E., **Social and Political Relations on the Niger Bend in the Seventeenth Century**, thèse de Ph.D., Centre of West African Studies, University of Birmingham, 1987.

14. –KONARÉ BA, Adam, **Sonni Ali Ber** (Études nigériennes no 40), Niamey: Institut de Recherches en sciences humaines, 1977.

15. LÉVI-PROVENÇAL, E., **Inscriptions arabes d'Espagne**, Leiden: E.J. Brill et Paris: Larose, 1931.

16. MONOD, T., «Sur les inscriptions arabes peintes de Ti-m-Missao, Sahara central», **Journal de la Société des africanistes**, 8:1 (1938), p: 83-95.

17. NORRIS, H.T., **The Tuaregs**, Warminster: Aris & Phillips, 1975.

18. NYKL, A.-R., «Arabic Inscriptions in Portugal», **Ars Islamica**, 11 (1946), p: 167-83.

19. OCAÑA JIMENEZ, M., **Repertorio de inscripciones árabes de Almería**, Madrid et Grenade: Consejo Superior de Investigaciones Científicas, 1964.

20. OCAÑA JIMENEZ, M., **El cúfico hispano y su evolución, I**, Madrid: Instituto Hispano-Árabe de Cultura, 1970.

21. ROSSELLÓ-BORDOY, G., **Corpus balear de epigrafía árabe**, Palma de Mallorca: Museo de Mallorca, 1975.

22. ROSSI, E., **Le iscrizioni arabe e turche del Museo di Tripoli (Libia)**, Tripoli: Administration of Tripolitania-Department of Antiquities, 1953.

23. ROUCH, J., «Contribution à l'histoire des Songhay», in **Mémoires de l'I.F.A.N**. n° 29, Dakar: I.F.A.N., 1953, p: 137-259.

24. ROY, B. et POINSSOT, P., **Inscriptions arabes de Kairouan**, Paris: Klincksieck, 1950. SALMON, G., **Notes d'épigraphie arabe**, Cairo: Institut Français d'archéologie orientale, 1902.

25. VAN BERCHEM, M., «L'épigraphie musulmane en Algérie», **Revue africaine**, 257 (1905), p: 160-91.

26. VAN BERCHEM, M., «Deux campagnes de fouilles à Sedrata (1951-1952)», **Travaux de l'Institut de recherches sahariennes**, 10:2 (1953), p: 123-38.

باولو فيرناندو دي موریاس فاریاس:

باولو فيرناندو دي موریاس فاریاس أستاذ التاريخ الإفريقي في **مركز دراسات أفريقيا الغربية** في جامعة برمنغهام بإنجلترا، وهو برازيلي الأصل، ولد في سلفادوردي باهيا Salvador de Bahia حيث أكمل دراسته في الطب ثم لاحقا في التاريخ، وهو حاصل أيضًا على درجة الأستاذية في الدراسات الأفريقية من **معهد الدراسات الأفريقية** بجامعة غانا.

قبل انتقاله إلى إنجلترا، سيّر حلقة الدراسات التاريخية في **مركز دراسات أفريقيا الشرقية** للجامعة الفيدرالية باهيا Bahia بالبرازيل، كما عمل بالسنغال في **المعهد الأساسي لإفريقيا السوداء** I.F.A.N (اليوم الشيخ أنتا ديوب) بجامعة داكار، وفي نيجيريا بقسم التاريخ في جامعة أحمد بلو بمدينة زاريا Zaria، حيث قدم دروسا في التاريخ الأفريقي .

استمر في زيارته لأفريقيا بانتظام لمواصلة بحوثه الميدانية، والتعاون مع زملائه الأفارقة المشاركين في مختلف المشاريع ذات الاهتمام المشترك، وقد تركزت أعماله البحثية بشكل خاص على جمهورية موريتانيا الإسلامية، جمهورية مالي، جمهورية بنين، وجمهورية نيجيريا الفيديرالية، وهو في الوقت الحاضر مهتم بشكل خاص بدراسة النقوش والكتابات العربية القديمة (الإبيغرافيا/l'épigraphie)، والتاريخ الشفوي لمساهمة الإسلام في تشكيل ثقافات منطقة نهر النيجر والساحل.

منذ عام 1989؛ كان عضوا في اللجنة العلمية لدورية: **Islam et Sociétés au sud du Sahara / الإسلام والمجتمعات في جنوب الصحراء**، التي تصدر عن **بيت علوم الانسان Maison des Sciences de l'Homme** ضمن "برنامج الإسلام الاستوائي"، بدعم من جامعة باريس السابعة، مع الدكتورة كارين باربر Karin Barber كما نظم في **مركز دراسات غرب أفريقيا** بجامعة برمنغهام محاضرات في موضوع: الخطاب وأقنعته: تفسير النصوص الشفوية الأفريقية (جوان 1987)، وموضوع ترسيخ الذات والوساطة: القومية الثقافية المبكرة في غرب أفريقيا (جوان 1988)

يمكن العثور على مجموعة مختارة من أعماله في المواضع التالية:

1. «The Almoravids: Some Questions Concerning the Character of the Movement During Its Periods of Closest Contact with the Western Sudan», Bulletine de l'nstitut Fondamental d'Afrique Noire, B, 3-4(1974), p: 794-878.
2. «Great States Revisited», Journal of African History, 15:3 (1974), p: 479-488.

3. «Silent Trade: Myth and Historical Evidence», History in Africa, 1 (1974), p: 9-24.

4. «Du nouveau sur les stèles de Gao: les épitaphes du prince Yāmā Küri et du roi F.n.dā (XIIIe siècle)", Bulletin de l'Institut fondamental d'Afrique noire, B, 36:3 (1974), p : 511-24.

5. «Nizam tajārat Tādmakkat wa Gāwo wa Kūkiyā fi al-ʻuşūr alwusţā», Majallat al-Buhūth al-Tārikhiya, 3:1 (1981), p: 39-60.

6. «Models of the World and Categorial Models: the Enslavable Barbarian as a Mobile Classificatory Label», in J.R. Willis (ed.), Slaves and Slavery in Muslim Africa, volume I: Islam and the Ideology of Slavery, London: Cass, 1985, p: 27-42.

7. Texte et atlas historique au sujet des états Almoravide, Ibāḻite, Fāţimite, et Şufrite en Afrique (Xe-XIIe siècles AD), in J.F.A. Àjàyí et M. Crowder (eds), Atlas of African History, London: Longman, 1985.

8. «Some Reassessments and Recent Findings concerning Epigraphic Evidence from the Niger Valley and the Sahara», in Actes du IVème Colloque Euro-Africain sur l'histoire du Sahara et des relations transsahariennes, Bergamo: Institut International d'Anthropologie-Centre International de Recherches Sahariennes et Sahéliennes, 1986, p: 79-109.

9. (avec J.J. Reis) «Islam and Slave Resistance in Bahia, Brazil», Islam et Sociétés au sud du Sahara, 3 (1989), p: 41-66.

10. «Pilgrimages to 'Pagan' Mecca in Mandenka Stories of Origin from Mali and Guinea-Conakry», in K. Barber et P.F. de Moraes Farias (eds), Discourse and its Disguises: the Interpretation of African Oral Texts, Birmingham: University of Birmingham African Studies Series no 1, 1989, p: 152-170.

11. «The Oldest Extant Writing of West Africa: Medieval Arabic Epigraphs from Issuk, Saney, and Egef-n-Tawaqqast (Mali)», Journal des africanistes, 60:2 (1990), p: 65-113.

12. «Sugar and a Brazilian Returnee in Mid-Nineteenth Century Sokoto», in D. Henige and T.C. McCaskie (eds), West African Economic and Social History: Studies in Honour of Marion Johnson, Madison: University of Wisconsin-African Studies Program, 1990, p: 37-46.

13. «Yorùbá 'Origins' Revisited by Muslims: an Interview with the Arokin of OyỌ and a Reading of the Aşl Qabā'il Yürubā of Al-Ħājj Adam al-Ilūri», in P.F. de Moraes Farias and K. Barber (eds), Self-Assertion and Brokerage: Early Cultural Nationalism in West Africa, Birmingham: University of Birmingham African Studies Series no 2, 1990, p: 109-147.

14. «History and Consolation: Royal Yorùbá Bards Comment on their Craft», History in Africa, 19 (1992), p: 241-172.

15. «An Arabic Letter from Ki-Toro Gaani, King of Busa (c. 1910), about the Kisra Stories of Origin», Sudanic Africa, 3 (1992), p: 39-63.

16. «The Oral Traditionist as Critic and Intellectual Producer: an Example from Mali», in T. Fálolá (ed.), African Historiography. Essays in Honour of J. Adé Ajàyí, London: Longman, à paraître, p: 20-44.

17. «òrànmíyàn's Frustrated War on Mecca: Reflexes of Borgu Ritual in Johnson's Yorùbá Narratives», in D. Henige and T. Fálolá (eds), Yorùbá Historiography 2: Studies on Samuel Johnson, Madison: University of Wisconsin-African Studies Program, à paraître.

18. «Praise as a Foreign Language: the Royal GeserƐbà of Borgu (Republic of Bénin)», in L. Gunner et G. Furniss (eds), Power, Marginality and Oral Literature, à paraître.